خليل مطران الشاعر

كان خليل مطران منذ خمسين عاماً وتراً جديداً في قيثارة الشعر العربي استطاع أن يبتدع فيه ألواناً جديدة لم يكن له به سابق عهد.

وقد استطاع الخليل — رغم البيئة والعصر — أن يوجه النظر إلى طريقته، وأن يجتذب إلى هذه الطريقة الأسماع، ويسترعي الأنظار لفنه، وأن يتبعه في نهجه فريق خطوا خطواته واصطادوا على ضوء المشعل الذي حمله.

ولئن اقترن اسم الخليل زمناً طويلاً باسمي زعيمين من زعماء الشعر العربي وفنانيه، هما شوقي وحافظ، لقد كان الخليل متفرداً عنهما بطريقته، كما كان لكل منهما نهجه... فلقد أخذ حافظ يضرب على وتر الوطنية المصرية زمناً، وأخذ شوقي يدون أحداث الشرق ويسجلها، ويعزف على آلام الشرق وأفراحه، بينما كان الخليل يبني للشعر الحديث أسسه، ويضع للسائرين على دربه الشوى.

لقد كان ينقل الشعر من دائرة الى دائرة، ومن محيط الى محيط. من دائرة التقليد الى دائرة استخدام الألفاظ والتراكيب على غير المألوف والمطروق منها. ومن محيط النظم الى محيط الشعر الحق بالخيال الحق، والأخذ من الواقع للخيال ومن الخيال للواقع.

ولقد جعل الخليل أسس نهضته الشعرية على العناية بالمعنى قدر العناية باللفظ المنسجم معه، وتحري الجديد من الموضوع، والنادر من التصور، وجعل وحدة القصيدة مبدأ ليتم للخيال استكمال صورته دون أن تقف أمامه وحدة البيت عائقاً.

وأدخل على الشعر العربي اللون القصصي فغنى منه بالمبدع، وأتى فيه بالروائع البكر، فاتسع بذلك المجال على الخيال الشعري الخلاق، ومزج بين الطبيعة والتفكير، أو بين المرئي وغير المرئي، وبين المدرك بالعين والمدرك بالبصيرة النفاذة، فقدم للشعر العربي أفتن صورة، ولعل قصيدته في هذا الباب «المساء» هي المثال الخالد لهذا اللون كما أنها المثال الرائع في الشعر العالمي.

هذا هو خليل مطران الذي يحتفي بالنهضة الشعرية عند ما يحتفي به

الصيرفي